

## جزء سخار

تليان وزوجته

”غداً يقتلونني أفلت الآذلاً جيّاناً“

هذا ما كتبته إلى عشيقها امرأة بديعة الجمال بعد أن غلبتها الأمس وأشدها بها الجزع وهي في السجن وقد قضي عليها بالموت . هذه هي تريزا ابنة الكونت كاروس رجل فرنسي من الأصل إسباني المولد . كانت في سجين ”لانفروس“ في باريس مع من طُرح فيه من الإبراءات في عهد الجمهورية الأولى (١٧٩٤) وهو يتظرون القتل علناً بقلوب واجفة . وكان موعد قتلهم في غد اليوم الذي كتبت فيه ما كتبت وذلك في اليوم التاسع من شهر تمبلدور<sup>(١)</sup> في السنة الثانية من الجمهورية الأولى

وكانت قد تزوجت قبل الثورة سركيز دي فوتتاي وسكنى بوردو . في الثورة قُبض عليها وطرحا في السجن بتهمة أن لها علاقة بالاشراف والاعيان وأنهما كانا يتوانان الفرار إلى إسبانيا وكان زمام الأمر حينئذ يد روبيير وانصاره ولم أحدي وعشرون ألف جنيه من جران الثورة ثُبت الميلون والارصاد والجوايسين في جميع أنحاء فرنسا يامرون ويتبعون بما لم يبلغ إليه حَوْل ملك فرنسي ولا تجاوزه طول طاغية روماني في أكثر أيام رومية بؤساً وأشدها ظلمًا . فكانوا يمكرون الأحكام الجائرة وينفذونها ولا رادع لهم ولا رقيب عليهم حتى انتللت السجون بالايراد من الرجال والنساء

غير أن ما خصت به هذه المرأة من الحسن الرائع والجمال البارع حال دون إزال الblade بها ويزوجهها فأنها امتلكت لبًّا شاب من أكبر زعاء الثورة اسمه تليان كان قد أرسل من باريس إلى بوردو ليتأصل شأفة الملكية منها فبات وهو الآخر الذي لا يرى له امر لا يستطيع أن يزيد لها أشارته . وكان قد رآها قبل ذلك باربع سنوات وهو عامل بيته أحدي مطابع باريس فافتنت بها . والآن أصبح الرجل الوحيد الذي يستطيع أن ينقذها من الموت فاقتدها هي وزوجها

وتليان هذا أشهر بالهجوم على قصر التويليتي وكان من أشد زعاء الثورة بطشاً وأعظمهم فتكاً أقي به بونابرت معه إلى مصر بعد انتهاء الثورة بخاء القاهرة وقضى مدة فيها يحرر الجريدة

(١) الشهريادي عذر في روزنامة الجمهورية أولاً ٢٦ يوليو وأخره ١٨ أكتوبر فال يوم التاسع منه أي ٢٧ يوليو مشهور لأن روبيير أحد كبار زعاء الثورة قتل فيه

الرئيسية الفرنسية أنسنة "د كاد جيـان" ثم عزله الجنـال منـوـ وـكان وضعـ الاـصل ضـعـيفـ النـسبـ صـغيرـ النـفـسـ مـثـلـ اـكـثرـ زـعـاءـ الثـورـةـ فـمـ يـكـنـ فيـ معـاملـتـهـ هـاـ أـكـبرـ قـساـ وـلاـ أـكـثرـ مـرـوـةـ وـابـرةـ حـماـطـعـ عـيـنـهـ فـصـاحـبـهاـ فـيـ بـورـدوـ وـكـارـهـ ثـمـ تـزـوـجـهاـ فـيـ بـارـيسـ مـكـرـعـهـ .ـ وـلـاـ أـكـلـ ماـ اـنـدـبـ الـيدـ فـيـ بـورـدوـ اـخـذـهـ مـعـهـ إـلـىـ بـارـيسـ .ـ فـظـرـ روـبـيـرـ وـغـيرـهـ مـنـ زـمـلـائـهـ الـيدـ وـالـيـ عـلـاقـتـهـ بـهـ نـظـرـةـ الشـيـهـ وـالـيـحـاسـ لـأـنـهـاـ مـنـ الـاـشـرـافـ خـافـواـ أـنـ يـقـلبـ عـلـيـهـمـ قـبـضـواـ عـلـيـهـ ثـانـيـةـ وـالـقـوـهـ فـيـ سـيـجـنـ "لـافـورـسـ" المـذـكـورـ آـنـاـ وـحـكـمـواـ عـلـيـهـاـ بـالـقـلـعـ فـكـتـبـتـ إـلـىـ تـلـيـانـ حـيـثـنـ تـسـتـيـهـ لـلـدـفـاعـ عـنـهـاـ فـائـلـهـ "غـداـ يـقـلـونـيـ اـفـلـتـ الـآنـدـلـاـ جـيـانـ"

اماـ تـلـيـانـ فـلـمـ يـكـنـ الرـجـلـ الـجـيـانـ الـذـيـ يـصـبـرـ عـلـىـ الضـيـعـ وـالـأـذـىـ وـيـقـدـعـ عـنـ خـلـاـصـ مـحـبـوتـهـ وـلـكـنـ مـاـ هـيـ حـيـلـهـ فـقـدـ ضـعـيـ فـقـهـ فـيـ سـيـلـاـ الـرـمـةـ الـأـولـىـ وـكـادـ يـقـدـ ثـقـةـ اـصـحـابـهـ بـهـ أـكـرـامـاـ هـاـ وـلـمـ يـجـفـظـ لـهـ مـكـاتـبـهـ عـنـدـمـ الـأـمـاـكـانـ يـنـظـهـوـهـ مـنـ الغـيـرـةـ الشـدـيـدـةـ عـلـىـ الثـورـةـ وـمـبـادـهـاـ .ـ فـلـمـ يـجـرـأـ عـلـىـ الـاـنـتـصـارـ لـهـ اـيـشـاـ عـلـىـ بـانـ ذـالـكـ لـاـ يـجـدـيـهـ تـقـعاـ بـلـ رـبـاـ اوـدـيـ بـهـ وـبـهـ مـعـاـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـبـأـسـ وـلـمـ يـقـنـطـ بـلـ سـعـيـ سـيـمـاـ مـسـتـرـاـ لـهـ يـسـتـطـعـ إـلـىـ اـنـقـاذـهـ سـيـلـاـ .ـ وـكـانـ اـمـهـ بـوـاـبـةـ فـيـ مـنـزـلـ بـشـارـعـ "لـاـرـيلـ" وـبـجـانـ السـجـنـ مـنـزـلـ فـيـ بـوـاـبـةـ أـخـرىـ صـدـيقـةـ لـاـمـهـ فـكـانـ يـدـخـلـ مـنـزـلـ كـلـ يـوـمـ سـرـاـ فـيـرـىـ مـنـ اـحـدـيـ نـوـافـذـ الـاـمـرـةـ الـتـيـ كـانـ شـفـلـهـ الشـاغـلـ وـيـكـلـهاـ تـارـةـ بـالـاـشـارـةـ وـطـوـرـاـ بـالـكـاتـبـةـ .ـ وـلـمـ يـكـنـ يـدـرـيـ بـوـعـدـ اـعـدـاهـاـ حـتـىـ جـاءـهـ هـذـهـ الرـقـعـةـ مـنـهـاـ فـيـنـاـجـ وـمـاجـ وـارـغـ وـازـبـدـ وـاـقـسـ لـيـقـنـصـهـاـ اوـيـمـ وـهـمـاـ كـانـ عـيـوبـ تـلـيـانـ وـنـفـاـصـهـ فـانـهـ كـانـ شـجـاعـاـ بـطـلاـ اـذـاـ اـثـيـرـ ثـارـ كـانـهـ اـسـدـ رـبـالـ فـرـأـيـ اـنـ السـبـيلـ الـوـجـدـ اـلـىـ بـنـجـاهـ خـلـيلـهـ قـلـبـ الـمـيـةـ الـمـتـرـبـهـ فـيـ دـسـتـ الـاـحـكـامـ حـيـثـنـ وـاثـرـهـ ثـورـةـ وـسـطـ ثـورـةـ وـتـسـليـطـ فـوـضـيـ عـلـىـ فـوـضـيـ وـالـقـذـفـ بـرـوـبـيـرـ وـاـنـصـارـهـ مـنـ حـالـقـ .ـ فـكـرـ فـيـ ذـالـكـ مـلـيـاـ وـعـقـدـ الـزـمـ عـلـيـهـ مـعـ مـاـ يـجـفـ بـهـ مـنـ الـاـهـوـالـ وـالـمـخـاطـرـ .ـ وـلـمـ يـرـعـهـ الـاـقـدامـ عـلـىـ هـذـهـ ثـورـةـ سـيـمـاـ فـيـ تـخلـصـ اـمـرـأـ فـلـاـ مـاـ يـخـصـهـاـ اوـيـقـنـ مـعـهـ

## ٦٠

جـاءـ صـابـ النـاسـ مـنـ شـهـرـ تـرـمـيدـورـ وـهـوـ الـيـومـ الـلـاـقـبـ "يـوـمـ الـلـهـ" وـأـعـدـتـ الـمـركـباتـ لـقـلـ الـحـكـمـ عـلـيـهـ بـالـقـلـعـ وـعـدـتـهـمـ سـتـ وـثـلـاثـونـ تـقـساـ وـوقفـ الـجـلـادـ وـمـاـسـدـوـهـ فـيـ "مـيدـانـ الثـورـةـ" يـشـخـذـونـ آـلـاتـ الـذـيـحـ لـسـاعـهـ الـعـصـيـهـ .ـ وـعـقـدـتـ الجـمـيعـ الـوـظـيـهـ بـرـئـاسـهـ روـبـيـرـ لـتـسـعـ مـاـ يـقـولـهـ هـوـ وـغـيرـهـ مـنـ الـزـعـاءـ وـلـكـنـ اـعـضاـهـاـ لـمـ يـدـوـاـ مـاـ جـرـتـ عـادـهـمـ بـهـ قـبـلـاـ كـاـنـهـمـ مـلـوـاـ تـلـكـ اـسـالـ وـكـاـنـهـمـ بـرـوـمـونـ الـخـلـاـصـ مـتـهـاـ فـلـاـ يـلـزـمـ لـذـالـكـ سـوـيـ عـزـمـ اـوـ

كلمة من قائل حتى يلتفتوا حوله فتقلب آمال روبيير واباعر احلاماً وتذهب مسامعهم خياماً ولم تعد الجماعة رجالاً يعزم تلك العزمه ويقول تلك الكلمة - رجلاً شرس بجميع فظائع روبيير ورجاله ومحاربهم وجزءاً ترك بوردو سابحة في بحر من الدماء . فلما أزفت الساعة لقتل الابرياء واذدم الموقف بجماهير المشاهدين وشب تيلان وهىئه وأشاراته كمن أصيب بهن من الجنون وصاحت برجال الجماعة الوطنية ان ينهضوا من غفلتهم ويقاوموا جماعة العناة الفاشيين الذين اغتصبوا السلطة من ايديهم وصبروا الجماعة الوطنية في حال من الرق والاستعباد لا يصبر عليها وتركوا الجمهورية تسجد في سيل من دماء الابرياء

- قال المؤرخ "لوتر" يصف تيلان في تلك الساعة ما يأتى

"وقف وعيناه نقدحان شرراً وصدره يحيط غيظاً وينلي غمراً فصعق سامعوه لما رأوا من انداده وما سمعوا من فصاحته ثم بعث فيهم روح عزم وشجاعة فصبر جميتم التي كانت كأنها جثة من الغراء لا حياة فيها ولا شعور ولا حرراك جسماً حياً في العظم والعصب . ولما أمسك روبيير من خاقو وجذبه الى الارض من مجلسه لم تقدّر يده لا يقفه عند حدوده ولم يعل صوت للاعتراض على فعلته . فهو قد خلص الجمهورية وفرنسا بل العالم اجمع من غير ان يقصد ذلك او يدرى به . ولقد نال مأربه اقدم على ثورة ليقذ من الموت تلك التي احبها" فانتعى بذلك حكم الارهاب الذي ساد البلاد وكان شعاره "اراقة الدماء ففتحت السجون وأطلق منها سراح المسجنين المنظومين فلم نقل المركبات احداً الى ساحة الاعدام بعد ولا شهدت آلة الدفع لتضريب الاعناق وازهاق الارواح الا حين سيق روبيير وعشرون من النصارو بعد ايام قليلة الى حيث احتزت رقبتهم وختم حكم الارهاب بدمائهم

وعظم شأن تيلان بعد هذه الحادثة فصار سيد فرنسا وقادتها وخدمها اجل خدمة في الشؤون العسكرية والملكية مما . وكان من اعماله انه صار حامي بونابرت حتى لقد قيل انه لولاه ما استطاع بونابرت ان يتوج رأسه باجاج فرنسا

على ان السعد لم يخدمه طويلاً بعد ذلك نعم انه كان راضياً بحاله سعيداً بالحصول على اجل نساء باريس ولكنها هي لم تكن راضية بذلك لأنها اعتادت عيشة النعمة والترف مع زوجها الاول وتيلان لم يكن موسراً ولو شاء وكانت له زروع وأنعم وثروة طائلة مثل غيره من زعاء الثورة الذين عرفوا كيف تُفتنم الفرنس ولكن اباء نفسه حال دون جمعه للمال بالوسائل المديدة وكان يحسب نفسه اغنى الناس واسعدهم بجيشه والناس يحسبوه كذلك

ولما لم يبق اماماً مطعم يطمح بابصاره اليه ولا مطعم يهني نفسه به وكل ما يشتهر به عنده

عزم على اعتزال مناصب الحكومة والسكنى في منزل بسيط بعيداً عن الضجيج والشاغل لكن ابنة الكونت وزوجة التركيز لم يرضها شظف العيش . فقد كانت زاعمة البال مجبرة اخاطر ايم كان تليان يقيم الحفلات ويوم الولائم فيرم داره كل ذي وجاهة وذات دلال ليسجدوا امامها - ايام كانت زوجة بطل ترميدور وسيد فرنسا . اما الآن وقد اعتزل الشؤون العمومية وازوى في منزل حقيق ازواجه الراهب العابد في ديره او النساك الزاهد في مسكنه فلم يطب لها المقام معه بعد ذلك بل ثافت الى عيشها السالفه وحثت الى منزلها الاول وفي ذات يوم افتقدعا فلم يجدوها . وبيان الخبر ان صديقها من اصدقائه الاغنياء بني قصرًا بدليغاً في شارع مجاور لمنزله ودعاهما لزيارتـو فسخرت بما رأته فيـه وصاحت وقد عرـتـه " ما اجيـن هذا القصر - هنا السعادة والمنـاه المـقيم " فأجابـها صاحـبه " ما دام الامر كذلك فدونـكـ متـاحـه " وكانـ هناـ الحديثـ المتـضـبـ بـهـ الفـصلـ الثالثـ منـ روـاـيـةـ حـيـاةـ هذهـ المرأةـ التيـ كـانـتـ مـركـبةـ دـيـ فـونـتـايـ فـصـارـتـ مـدـامـ تـليـانـ وـالـآنـ سـمـتـ نـسـهـاـ باـسـهـاـ وـفيـ قـنـاةـ قـبـلـ تـزـوـجـ ايـ تـرـيزـياـ كـبارـوسـ . وـكـانـتـ لـمـ تـجـاـوزـ الـثـلـاثـيـنـ مـنـ سـنـهـاـ وـعـادـتـ لـاـتـهمـ تـليـانـ الـأـلـطـافـ باـسـعـ ماـ يـكـنـ

## ٦٠

وبـدـاـ الفـصلـ الرابعـ منـ روـاـيـةـ حـيـاتـهاـ سـنـةـ ١٨٠٥ـ عـنـدـ ماـ تـزـوـجـتـ بـرـنسـ دـيـ كـرـمانـ . وـكـانـ لهاـ أـرـبـعـةـ أـوـلـادـ مـنـ تـليـانـ صـيـ وـثـلـاثـ بـنـاتـ وـلـكـنـهـاـ كـانـتـ تـبـذـلـ الجـهـدـ فـيـ نـسـيـاتـ ماـ مـضـىـ وـلـمـ تـلـقـيـ بـتـليـانـ بـدـ ذـلـكـ سـوـيـ مـرـةـ وـاحـدـةـ وـذـاكـ اـنـ اـبـتـهـاـ الـبـكـرـ وـاسـهـاـ تـرمـيدـورـ كـانـتـ مـخـطـوـيـةـ لـلـكـونـتـ دـيـ فـارـيـونـ بـلـيهـ . فـازـفـ يـوـمـ زـوـاجـهـاـ وـكانـ لـابـدـ مـنـ حـضـورـ تـليـانـ لـامـضـاءـ عـقـدـ الزـوـاجـ عـلـيـ كـرـهـ مـنـ اـصـحـابـ الـعـرسـ . فـخـضـرـ وـامـضـيـ عـقـدـ يـسـاطـةـ لـاـ يـشـبـهـ شـيـنـ وـهـوـ الرـجـلـ الـذـيـ اـمـضـيـ قـبـلـ ذـلـكـ بـعـدـةـ سـنـاتـ عـقـدـ زـوـاجـ زـوـجـينـ لـوـلـاـ لـمـ يـصـيـرـ اـمـبرـاطـورـ مـنـ (ـنـابـوليـونـ وـجـرـوزـفـينـ )

وـلـاـ اـنـتـعـيـ عـقـدـ تـنـازـلـ الـتـيـ كـانـتـ زـوـجـةـ وـدـعـنـهـ لـرـكـوبـ مـرـكـبـهـ حـتـىـ التـاـنـزـالـيـهـ بـجـوارـ مـنـزـلـهـ الحـقـيرـ فـقـبـلـ دـعـوـهـاـ وـرـكـبـهـ مـعـاـ آخـرـةـ فـيـ الشـوـارـعـ الـتـيـ طـالـمـاـ فـسـحـتـ بـصـدـيـ المـتـافـ وـالـابـتـاجـ لـرـجـلـ جـمـلـ لـتـوـمـيدـورـ شـانـاـ فـيـ التـارـيـخـ لـاـبـسـيـ وـقـيـ قـضـاءـ مـبـرـماـ عـلـىـ حـكـمـ الـارـهـابـ وـالـاسـبـادـ وـفـيـ ١٧ـ نـوـفـيـرـ سـنـةـ ١٨٢٠ـ نـشـرـتـ جـرـائـدـ بـارـيسـ خـبـرـاـ مـوجـزاـ تـعـيـ فـيـهـ الـسـيـوـتـلـانـ وـتـقـولـ اـنـهـ مـاتـ قـيـرـاـ مـدـفـعـاـ فـيـ مـنـزـلـ حـقـيرـ وـكـادـ يـضـحـوـ جـوـوـاـ قـبـلـ موـتـهـ لـوـلـاـ اـنـ الـمـلـكـ عـنـ لـهـ مـرـبـاـ طـفـيـاـ مـنـ جـيـبـ الـخـاصـ جـزـاءـ مـسـاعـدـهـ لـهـ عـلـىـ خـلـعـ اـخـيـهـ